المجمع **11** (1438/2016)، 185-208

بين التّناوب في حروف الجرّ والتّضمين اللّغويّ: إضاءات ووقفات

محمد عدنان جبارين*

يتناول البحث موضوع التّناوب في حروف الجرّ، وهو موضوع دقيق يحتاج إلى تأمّل وبصيرة، وقد تناوله أهل العلم بالعربيّة، واختلفت فيه مذاهبهم.

بدأ البحث بتمهيد اشتمل على بعض مؤلّفات النّحاة في معاني الحروف، وما يتعلّق بالحرف تعريفًا وحدًّا.

أمّا الحروف الّتي ذُكرت في البحث فهي: الباء، والكاف، واللّام، وعن، وفي، ومِن، وإلى، وعلى، لأنّها أكثر الحروف الّتي ثار حولها الجدل فيما يتعلّق بتناوبها.

وتأكيدًا لذلك؛ فقد ساقَ الباحثُ في بحثه طائفةً من الشّواهد القرآنيّة، والشّعرية، وشذرات من أقوال العرب النّثريّة؛ ثمَّ تحدَّثَ عن التّضمين كوجهة أخرى للبحث، ووقف عند آراء جمّة من آراء النّحاة: قدماء ومحدثين؛ محاولاً مناقشتها مناقشة تخلو من التحيُّزِ العقيمِ.

وانتهى البحثُ بخلاصةٍ فيها أهمّ النّقاط البارزة الّتي خُلِص إليها.

النّحاة وكتب معاني الحروف:

لقد شعر النّحاة بضرورة تصنيف كتب خاصّة، تضمّ معاني الحروف، وتبسّط أصولها، وأبوابها، وشواهدها، والمذاهب المختلفة فيها، فكان أن صدرت مؤلّفات كثيرة في هذا الموضوع؛ أشهرها[1]: **مصابيح المغاني في حروف المعاني**؛ لابن نور الدّين محمّد بن علي الموزعيّ، و**رصف المباني في حروف المعاني**؛ لأحمد بن عبد النّور المالقي، و**الجنى الدّاني في حروف المعاني**؛ لبدر الدّين الحسن بن قاسم المراديّ، و**مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**؛ لابن هشام عبد الله بن يوسف الأنصاريّ، و**الأزهيّة في علم الحروف**؛ لأبي الحسن علي بن محمّد الهرويّ، و**معاني الأدوات والحروف**؛ لابن قيم الجوزيّة محمّد بن أبي بكر الحنبليّ، و**معاني الحروف**؛ لأبي الحسن علي بن عيسى الرّمانيّ، و**اللّامات**؛ لأبي القاسم عبد الرحّمن بن إسحاق الزّجاجيّ.

---

* مدرس للغة العربية- أم الفحم.

[1] - انظر: المراديّ؛ الحسن بن قاسم، **الجنى الدّاني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدّين قباوة، وزميله، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى، 1992م، ص3–ص4. والرُّماني؛ علي بن عيسى، **معاني الحروف**، تحقيق: عبد الفتّاح إسماعيل، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص17-ص21.

أمّا فيما يتعلّق بعلّة تسمية الحرف؛ فقيل: سُمِّي بذلك؛ لأنّه طرف في الكلام وفضلة، والحرف في اللّغة هو الطّرف، ومنه قولهم: حرف الجبل، أي طرفه، وهو أعلاه المحدّد[1].

وقد حدّ النّحاة الحرف بحدود كثيرة، ومن أحسنها قول بعضهم:"الحرف كلمة تدلّ على معنى في غيرها فقط"[2]. ويؤكّد ذلك ما ذهب إليه محمّد حسن عوّاد:"ومقتضى الحدّ أنّ الحروف روابط في التّركيب يتوقف معناها على ذكر متعلّقاتها، وإذا أفردت فقد تبخّرت معانيها"[3]؛ فدلالة الحرف على معناه الإفراديّ متوقّفة على ذكر متعلَّقه، بخلاف الاسم والفعل، فإنَّ دلالة كلّ منهما على معناه الإفراديّ غير متوقّفة على ذكر متعلَّق.. فباء الجرّ، مثلاً، لا تدلّ على الإلصاق حتّى تضاف إلى الاسم الّذي بعدها..، وكذلك القول في سائر الحروف[4].

تناوب حروف الجرّ:

من المعروف في أساليب العربيّة أنّ كلّ فعل من أفعالها المتعدّية بحرف جرّ له تعدّيه الخاصّ به، ويطّرد استعمال هذا الحرف مع ذاك الفعل في أساليب الفصحاء والبلغاء، ومن هنا حرصت المعاجم العربيّة منذ نشأة حركة التّأليف المعجميّ على رصد هذا التّعدّي، والنّص عليه في مفردات المواد الّتي تستوعبها، فإذا أشكل على مستخدم للفعل تعيين هذا الحرف مع الفعل المُعْنى عاد إلى المعجم أو إلى ضرب من

---

[1] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص23 – ص25. والقضاة؛ سلمان، **الجملة في تصوّر غير النّحويّين**، مؤتة للبحوث والدّراسات، جامعة مؤتة، المجلد الثّاني عشر، العدد الأوّل، 1997م، ص297. والشّاويش، غالب محمّد، **الدّلالة البلاغيّة لحروف الجرّ والعطف في نماذج من الحديث النّبويّ الشّريف**، مؤتة للبحوث والدّراسات، المجلد الرّابع عشر، العدد الثّاني، مؤتة-الأردن، 1999م، ص 12.

2 - انظر: الجنى الدّاني، ص20. و**الدّلالة البلاغيّة لحروف الجرّ والعطف في نماذج من الحديث النّبويّ الشّريف**، ص12. والقضاة؛ سلمان، **أقسام الكلمة عند نحاة العربيّة وفي التّراث الإنسانيّ**، حوليّات جامعة وهران، العدد الثّاني، الجزائر، 1995م، ص53.

3 - انظر: عوّاد؛ محمّد حسن، **تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن**، دار الفرقان، عمّان، ط.1. 1982م، ص7.

4 - انظر: الجنى الدّاني، ص22. والأنصاريّ؛ ابن هشام، **أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك**، شرح وتعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة الأولى, 1997 م، المجلّد الأوّل، ص40. وابن عقيل؛ عبد الله، **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، تعليق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، الطّبعة الثّانية، د.ت، الجزء الأوّل، ص 26.

ضروب السّماع الفصيح من قرآن كريم، وحديث شريف، وشعر، وقول منثور يعود إلى عصور الاستشهاد اللّغويّ السّالفة[1].

ومن الملاحظات الّتي تستوقف القارئ وتستحق النّظر، ورود أفعال في كثير من الآيات القرآنيّة، والأبيات الشّعريّة تخالف في تعدّيها إلى حرف الجرّ ما نصّت عليه معاجم اللّغة؛ فيلحّ عليه إشكال يسعى إلى حلّه.

ولو ألقينا نظرة على بعض كتب النّحو لرأينا النّحاة يسوقون معاني الحروف ومنها حروف الجرّ أو الإضافة، ويقولون-مثلاً- إنّ **على** تفيد الاستعلاء، و**مِن** تفيد الابتداء، و**إلى** تفيد الانتهاء، و**عن** تفيد المزايلة أو المجاوزة، و**الكاف** تفيد التّشبيه، أمّا **اللّام** فيقول عنها المراديّ:"ولها معان كثيرة، وقد جمعتُ لها من كلام النّحويّين ثلاثين قسمًا..الأوّل:الاختصاص:نحو:الجَنَّةُ لِلمؤمنين.ولم يذكر الزّمخشريّ في مفصّله غيره. قيل: وهو أصل معانيها.."[2].

ويكمل المراديّ مُنَبِّهًا:"التّحقيق أنّ معنى **اللّام**، في الأصل، هو الاختصاص وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معان أخر، وإذا تُؤمِّلَتْ سائر المعاني المذكورة وُجدت راجعة إلى الاختصاص. وأنواع الاختصاص متعدّدة، ألا ترى أنّ من معانيها المشهورة التّعليل، قال بعضهم: وهو راجع إلى معنى الاختصاص؛ لأنّك إذا قلت: جئتُك للإكرام، دلّت اللّام على أنّ مجيئك مختصّ بالإكرام، إذ كان الإكرام سببه دون غيره، فتأمّل ذلك. والله أعلم"[3].

أمّا **الباء**، فأصل معانيها الإلصاق، ولم يذكر لها سيبويه غيره. قال: إنّما هي للإلصاق والاختلاط؛ ثمّ قال: فما اتَّسع من هذا في الكلام؛ فهذا أصله، قيل: وهو معنى لا يفارقها[4].

أمّا ما ذهب إليه الأستاذ محمّد حسن عوّاد من أنّها لابتداء الغاية؛ فهذا من الخطأ الفادح..[5].

---

1 - انظر:الخرّاط؛ أحمد بن محمّد، **وقفات مع أطروحة علميّة بعنوان (التّضمين النّحويّ في القرآن الكريم) لـ د. محمّد نديم فاضل**؛ في موقع "ملتقى أهل التّفسير":

http://vb.tafsir.net/tafsir4332/#.VzB_3oQrLIU 01:58 ,05/12/2005 - 04/11/1426 - pm

2 - انظر: **الجنى الدّاني**، ص96.

3 - انظر: **الجنى الدّاني**، ص109.

4 - انظر: **الجنى الدّاني**، ص36.

5 - انظر: الفقرة الأخيرة من كتابه "**تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن**"، ص8.

قال المراديّ:"ردّ كثير من المحقّقين سائر معاني الباء إلى معنى الإلصاق، كما ذكر سيبويه، وجعلوه معنى لا يفارقها، وقد ينجرّ معه معان أخر، واستبعد بعضهم ذلك وقال: الصّحيح التّنويع. وما تقدّم من نيابة الباء عن غيرها من حروف الجرّ هو جار على مذهب الكوفيّين، ومن وافقهم في أنّ حروف الجرّ قد ينوب بعضها عن بعض. ومذهب البصريّين إبقاء الحرف على موضوعه الأوّل؛ إمّا بتأويل يقبله اللّفظ أو تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف. وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشّذوذ"[1].

وقد رفض محمّد نديم فاضل أيَّ دعوى أو حجّة لتضمين الحروف، ورأى انحلال كثير من العقد إذا ما ضُمِّنَتِ الأفعال؛ يقول:"ترى الحرف مع الفعل فيوحشك الحرف، ويبقى الفعل قلقاً؛ فإذا حملته على التّضمين تمكّن الفعل وآنسك الحرف"[2].

وأمّا عبّاس حسن فأخذ بتناوب الحروف؛ يقول:"..فلا غرابة في أن يؤدّي الحرف عدّة معان مختلفة، وكلّها حقيقيّ..ولا غرابة في اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد؛ لأنّ هذا كثير في اللّغة، ويسمّى بالمشترك اللّفظيّ"[3].

وأرى أنّ الأمر ليس تمامًا كما ذهب إليه الأستاذ عبّاس حسن؛ لأنّ ما اندفع في تأييده بالصّورة المذكورة؛ قد يفضي إلى مشكلات لغويّة، ويُسَبِّب اضطرابًا في البيان[4]، وأظنّني أقرب إلى رأي ابن جني حين قال:"هذا باب يتلقّاه النّاس مغسولًا ساذجًا من الصّنعة، وما أبعد الصّواب عنه، وأوقفه دونه. وذلك أنّهم يقولون: أنَّ **إلى** تكون بمعنى **مع**، ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه:"مَن أنصاري إلى الله"؛ أي: مع الله. ويقولون: إنّ **في** تكون بمعنى **على** ويحتجّون بقوله عزّ اسمه:"ولأُصَلِّبَنَّكُم في جذوعِ النخلِ"؛ أي: عليها. ويقولون: تكون **الباء** بمعنى **عن وعلى** ويحتجّون بقولهم: رميت بالقوس؛ أي عنها وعليها.. ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، ولكنّا نقول: إنّه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الدّاعية إليه، والمسوّغة له؛ فأمّا في كلّ موضع وعلى كلّ حال فلا. ألا ترى أنّك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلًا هكذا لا مقيّدًا لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد وأنت تريد معه. وأن تقول: زيد في الفرس،

---

[1] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص46.

[2] - انظر: فاضل؛ محمّد نديم؛ **التّضمين النّحويّ في القرآن الكريم**، مكتبة دار الزّمان، المدينة المنوّرة، الطّبعة الأولى، د.ت، ص10.

[3] - انظر: حسن، عبّاس، **النّحو الوافي**، دار المعارف، القاهرة، الطّبعة الثّانية، 1963م، ص414.

[4] - انظر: **تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن**، ص13.

وأنت تريد عليه. وزيد في عمرو، وأنت تريد عليه في العداوة. وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد عنه. ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش"[1].

وحتّى أوضّح المسألة جَلِيًّا سأسوق طائفة من الشّواهد الّتي استدلّ بها المجوّزون على صحّة نيابة بعض حروف الجرّ عن بعضها؛ ثم أناقشها...

*** حرف الباء:**

من **الشّواهد القرآنيّة**؛ ما يأتي:

- قال تعالى:"**فاسأل به خبيرًا** "(الفرقان:59).

يرى ابن هشام وغيره أنّ الباء تقع موقع **عن**[2]، وتأوّل آخرون من البصريّين على أنّ الباء للسّببيّة، وزعموا أنّها لا تكون بمعنى **عن** أصلًا؛..لأنّه لا يقتضي قولُكَ:"سألت بسببه" أنّ المجرور هو المسؤول عنه[3].

والّذي أراه أنّ **الباء** على أصلها، ولذلك تكون "به" في الآية متعلّقة بـِ"خبير"..[4].

- قال تعالى:"**سأل سائل بعذاب واقع**" (المعارج:1).

قال الموزعيّ إنّ الباء تقع موقع **عن** بدليل قوله تعالى:"يسألون عن أنبائكم"(الأحزاب:20) [5]، وقيل: المعنى دعا داع بعذاب واقع، فالباء على أصلها[6].

---

[1] - انظر: ابن جني، عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمّد علي النّجّار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1952م، الجزء الثّاني، ص306.

[2] - انظر: الأنصاريّ، ابن هشام، **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، 2005 م، الجزء الأول، ص 122. **وأوضح المسالك**، المجلّد الأوّل، ص345. **وشرح ابن عقيل**، الجزء الثّالث، ص19. **والجنى الدّاني**، ص41.

[3] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص122.

[4] - انظر: الأندلسيّ، أبو حيان (محمّد بن يوسف)، **البحر المحيط**، دار الفكر، بيروت، الطّبعة الثّانية، 1978 م، الجزء السّادس، ص 508.

[5] - انظر: الموزعيّ، محمّد بن علي، **مصابيح المغاني في حروف المعاني**، تحقيق: عائض بن نافع العمريّ، دار المنار، د.م، الطّبعة الأولى، 1993م، ص200.

[6] - انظر: **البحر المحيط**، الجزء الثّامن، ص 332. **والجنى الدّاني**، ص41.

- قال تعالى:"**نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**"(سورة التحريم :8، وانظر: الحديد:12).

جاءت **الباء** بمعنى **عن**؛ أي عن أيمانهم.

- قال تعالى:"**يوم تشقّق السّماء بالغمام**" (الفرقان:25).

قيل إنّ الباء باء الحال أي متغيّمة، وهي الّتي يصحّ وقوع **مع** موقعها[1]، وقيل:"الباء باء السّبب؛ أي بسبب طلوع الغمام منه؛ كأنّه الّذي تشقّق به السّماء، كما تقول: شقّ السّنام بالشّفرة، وانشقّ بها، ونظيره قوله تعالى:"والسّماء منفطر به"(المزمل:8)[2]، وقد جعل الزّمخشريّ هذه الباء بمنزلتها في شققت السّنام بالشّفرة، على أنّ الغمام جعل كالآلة الّتي يشق بها[3].

على الرّغم من عدم تأتّي القطع برأي من هذه الآراء لاختلاف التّفاسير في هذه الآية إلّا أنّني أميل إلى الرّأي الأوّل وهو اعتبار الباء للحال؛ لاكتمال السّياق به.

ومن الأمثلة الأخرى:

- قال تعالى:"**عينًا يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيرًا**"(الإنسان:6).
- قال تعالى:"**عينًا يشرب بها المقرّبون**"(المطفّفون:28) .
- قال تعالى:"**وامسحوا برؤوسكم**"(المائدة:6) .

قيل إنّ **الباء** بمعنى **مِن**، وهي باء التّبعيض، والّذين يقولون بهذا المعنى للباء هم الكوفيّون، وتابعهم الأصمعيّ والفارسيّ وابن مالك[4].

ومنهم من رأى أنّ الباء في الشّواهد السّابقة زائدة[5].

---

[1] - انظر: **البحر المحيط**، الجزء السّادس، ص 494.

[2] - انظر: **البحر المحيط**، الجزء السّادس، ص 494.

[3] -انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص 122.

[4] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص 202. و**أوضح المسالك**، المجلّد الأوّل، ص 345. ويوسف؛ مجدي إبراهيم، **دلالات الحروف عند الزّجاجيّ: دراسة في ضوء الشّواهد القرآنيّة في كتاب حروف المعاني**، مجلّة علوم اللّغة، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص235.

[5] - انظر: ابن قتيبة؛ عبد الله، **تأويل مشكل القرآن**، شرح وتعليق: السّيّد أحمد صقر، دار التّراث، د.م، الطّبعة الثّانية، 1973م، ص575. و**البحر المحيط**، الجزء الثّامن، ص395.

وقيل إنّها للإلصاق، والمعنى: يشرب عباد الله بها الخمر؛ أي يمزج شرابهم بها، كما تقول:"شربت الماء بالعسل"[1]، وكذا القول في "وامسحوا برؤوسكم".

قال ابن هشام:"والظّاهر أنّ الباء للإلصاق، وقيل هي في آية الوضوء للاستعانة، وإنّ في الكلام حذفًا وقلبًا؛ فإنّ **مسح** يتعدّى إلى المزال عنه بنفسه أو إلى المزيل بالباء؛ فالأصل: امسحوا رؤوسكم بالماء..."[2].

والذي أراه أنّ الباء في الشّاهدين الأوّل والثّاني هي باء التّبعيض، أمّا في الشّاهد الثّالث فهي للإلصاق، وهذا أقرب إلى المعنى الكلّي للسّياق.

- قال تعالى:"**وقد أحسن بي**"(يوسف:100).

أي إليّ، وقيل ضُمِّن أحسن معنى لَطُفَ، والباء على أصلها[3].

وأرى أنّ إنابة حرف الباء أفضل من تضمين الفعل.

- قال تعالى:"**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يُؤَدِّه إليك**"(آل عمران:75).

جاءت الباء بمعنى **على** بدليل قوله تعالى:"هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل" (يوسف:64)[4].

وقد جاءت الباء بمعنى **في**[5]كما في الآيات الآتية:-

- قال تعالى:"**وبالأسحار هم يستغفرون**"(الذاريات:18).
- قال تعالى:"**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة**"(آل عمران:123).
- قال تعالى:"**نجيناهم بسحر**"(القمر:34).
- قال تعالى:"**وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تَبَوَّءا لقومكما بمصر بيوتًا**"(يونس:87).

---

[1] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص203 - ص204.

[2] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص 203. والقضاة؛ سلمان، **قراءة لغويّة فقهيّة في آية الوضوء (الآية السّادسة من سورة المائدة)**، مجلّة المنارة، جامعة آل البيت، المجلّد الثّاني، العدد الأوّل، 1999م ، ص18.

[3] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص 204. و**الجنى الدّاني**، ص 45.

[4] - انظر: **أوضح المسالك**، المجلّد الأوّل، ص346. و**دلالات الحروف عند الزّجاجيّ**، ص236.

[5] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص198.و**دلالات الحروف**، ص237.

- قال تعالى:"**وإنّكم لتمرّون عليهم مصبحين**(137) **وباللّيل أفلا تعقلون**(138)" (سورة الصّافات: 138-137).

وجاءت بمعنى **مع**[1] في بعض الآيات القرآنيّة، مثل:

- قال تعالى:"**فأتبعهم فرعون بجنوده**"(طه:78).

- قال تعالى:"**قد جاءكم الرّسول بالحقّ**"(النساء:170).

وقد تأتي بمعنى **اللّام للتّعليل**[2] كقوله تعالى:"**إنّكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل**" (البقرة:54)، وقوله:"**فكلًّا أخذنا بذنبه**"(العنكبوت:40)، وقوله:"**فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أحلّت لهم**"(النساء:160).

ومن **الشّواهد الشّعرية**، ما يأتي:

- قال علقمة بن عبدة[3]:

فإنْ تسألوني بالنّساء فإنّني بصير بأدواء النّساء طبيب

قيل إنّ الباء جاءت بمعنى **عن**، وقيل إنّها على بابها؛ كأنّ المعنى فإن تسألوني فإنّني خبير بالنساء طبيب بأدوائهن[4].

وأرى أنّ الباء جاءت بمعنى **عن**؛ وهذا أكثر دقّة من الرّأي الآخر...

- قال الشاعر[5]:

أربٌّ يبول الثُّعْلُبانُ برأسِهِ لقد ذلَّ مَنْ بالتْ عَليهِ الثَّعالِبُ

---

[1] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص 41. و**مصابيح المغاني**، ص197.

[2] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص196. و**دلالات الحروف**، ص237. و**أوضح المسالك**، المجلّد الأوّل، ص346.

[3] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص 200. والسّيوطيّ، جلال الدّين، **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، دار المعرفة، بيروت، د.ت، الجزء الثّاني، ص28. و**الجنى الدّاني**، ص41. وقد ذكر فيه الشّاهد: فإنْ تسألوني بالنّساء فإنّني خبير بأدواء النّساء طبيب.

[4] -انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص34.

[5] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص202. و**مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص122. و**الجنى الدّاني**، ص43، وقد ذكر فيه الفعل "هان" مكان الفعل "ذلّ".

جاء حرف الباء بمعنى **على**: على رأسه..

- قال أبو ذؤيب الهذليّ[1]:

شَـــرِبْـنَ بـمـاءِ الـبـحـرِ ثُـمَ تَـرَفَّـعَـتْ مـتـى لُـجَـجٍ خُـضْـــرٍ لَـهُـنَّ نَـئـيـجُ

جاء حرف الباء بمعنى **من**: من ماء البحر؛ أمّا مَن قال بزيادة الباء فقد ضلَّ عن المعنى الصّحيح الّذي أفاده السّياق؛ إضافة إلى استحالة الأمر أو المبالغة الزّائدة فيه![2].

- قال الشّاعر[3]:

إنَّ الـرَّزيَّـةَ لا رزيَّـةَ مِـثْـلُـهـا أخَـوايَ إذْ قُـتِـلا بـيـومٍ واحِـدِ

جاء حرف الباء بمعنى **في** [4].

*** حرف الكاف:**

ذكر الأخفش والكوفيّون أنّ الكاف تأتي بمعنى **على**، وذكروا أنّ بعضهم قيل له: كيف أصبحت؟ فقال: كخيرٍ، أي على خير، وقيل المعنى بخير، وورد بأنّه لم يثبت مجيء الكاف بمعنى الباء، وقيل: هي للتّشبيه على حذف مضاف، أي كصاحب خير[5].

وقد تأتي بمعنى **على**[6]؛ كقوله تعالى:**"فاستقم كما أمرت"**(هود:112)، أمّا الزّمخشريّ فيحقّق الكاف على **أصلها**، والمعنى عنده:"فاستقم استقامة مثل الاستقامة الّتي أمرت بها على جادة الحقّ غير عادل عنها"[7].

---

[1] -انظر: **مصابيح المغاني**، ص203. **والجنى الدّاني**، ص43. **ومغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص123. **ودلالات الحروف**، ص235. **وشرح ابن عقيل**، الجزء الثّالث، ص19.

[2] -انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص37؛ يدّعي الأستاذ محمّد حسن عوّاد وغيره أنّ الباء زائدة، وأرى أنّ ذلك يؤدّي إلى فساد في المعنى الّذي أفاده السّياق.

[3] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص198.

[4] -انظر: **أوضح المسالك**، المجلّد الأوّل، ص346. **ودلالات الحروف**، ص237.

[5] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص 329. **والجنى الدّاني**، ص84 – ص85. **ومغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص200.

[6] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص329.

[7] - انظر: **البحر المحيط**، الجزء الخامس، ص 268.

وقد تأتي للتّعليل فتقع موقع **اللّام**[1]؛ كقوله تعالى:"**واذكروه كما هداكم**"(البقرة:198).

*** حرف اللّام:**

تأتي اللّام موافقة **على**[2]؛كقوله تعالى:"**ويخرّون للأذقان**"(الإسراء:109)، وقوله تعالى:"**دعانا لجنبه**"(يونس:12)، وقوله صلّى الله عليه وسلّم:"**واشترطي لهم الولاء**"[3]، وقول الشّاعر[4]:

فَشَـقَقْتُ بِالرُّمْحِ الطَّويلِ ثِيابَهُ فَخَرَّ صَـريعًا لِلْيَدَيْنِ ولِلْفَمِ

وتأتي موافقة **إلى**[5]؛ كقوله تعالى:"**بأنَّ ربَّكَ أوحى لَها**"(الزلزلة:5)، وقوله تعالى:"**كُلٌّ يجري لأجلٍ مُسَمًّى**"(الرعد:2).

وتأتي مرادفة **في**[6]، كقوله تعالى:"**ونضع الموازينَ القسطَ ليوم القيامة**"(الأنبياء:47)، وقوله تعالى:"**لا يُجَلِّيها لوقتِها إلا هُوَ**"(الأعراف:187).

وتأتي نيابة عن **من**؛ كقول جرير[7]:

لنا الفضلُ في الدُّنيا وأنْفُكَ راغِمٌ ونحنُ لكمْ يومَ القيامةِ أفضَلُ

وتأتي مرادفة **مع**[8]؛ كقول الشّاعر[9]:

فلمَّا تفرَّقْنا كأنّي ومالكًا لطولِ اجْتِماع لم نَبِتْ ليلةً معًا

---

[1] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص199. و**شرح ابن عقيل**، الجزء الثّالث، ص22.

[2] -انظر: **مصابيح المغاني**، ص373. و**الجنى الدّاني**، ص100. و**دلالات الحروف**، ص245.

[3] - هذا جزء من حديث أخرجه البخاريّ عن عائشة رضي الله عنها في باب استعانة المكاتب وسؤاله النّاس؛ انظر: **مصابيح المغاني**، ص374.

[4] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص101. و**مصابيح المغاني**، ص373.

[5] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص99. و**مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص237. و**دلالات الحروف**، ص246.

[6] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص374.

[7] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص102. و**مصابيح المغاني**، ص375.

[8] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص 374. و**الجنى الدّاني**، ص 102.

[9] - قيل هو مُتَمِّم بن نويرة؛ انظر: **مصابيح المغاني**، ص374. و**الجنى الدّاني**، ص101.

وتأتي موافقة **عن**[1]؛ كقوله تعالى:"**وقال الّذين كفروا للّذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه**"(الأحقاف:11)، وكقول الشّاعر[2]:

كضـــرائرِ الحســـناءِ قُلْنَ لِـوَجْهِـهـا حســـدًا وبَـغْـيًـا إنَّـهُ لَـدَمـيـمُ

*** حرف الجرّ عن[3]:**

يأتي حرف الجرّ **عن** بمعنى **على**؛ كقوله تعالى:"**فإنّما يبخل عن نفسه**"(محمّد:38)، وقوله:"**إنّي أحببتُ حُبَّ الخير عن ذكر ربّي**"(ص:32)، وكقول ذي الإصبع العُدوانيّ[4]:

لاهِ ابنُ عَمّكَ لا أفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَـنّي ولا أنْـتَ دَيّـانـي فَـتَـخْـزُونِـي

وقد يأتي بمعنى **من**؛ كقوله تعالى:"**وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده**"(الشّورى:25)، وقوله:"**أولئك الّذين نتقبَّل عنهم أحْسَنَ ما عَمِلُوا**"(الأحقاف:16) بدليل قوله تعالى:"**ربَّنا تقبَّل مِنَّا**"(البقرة:127).

ويأتي في حالات أخر بمعنى **اللّام**، كقوله تعالى:"**وما نحن بتاركي آلهتِنا عن قولك**"(هود:53)، وقوله:"**وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلّا عن مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاه**"(التّوبة:114)، وكقول امرئ القيس[5]:

وَتُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِها نَؤومُ الضُّحى لَمْ تَنتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

وقد ينوب عن حرف الجرّ **في**؛ كقول الأعشى[6]:

وآسِ سَـــرَاةَ الـحيّ حيـثُ لَـقـيتَهُـمْ ولا تَـلُ عـن حَـمْـلِ الـرِّبـاعَـةِ وانـيـا

---

[1] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص99. و**مصابيح المغاني**، ص 376.

[2] -البيت لأبي الأسود الدّؤلي؛ انظر: **مصابيح المغاني**، ص376. و**الجنى الدّاني**، ص100.

[3] -انظر: **مغني اللّبيب**، ج.1، ص169. و**معاني الحروف**، ص 94 – ص95. و**الجنى الدّاني**، ص242- ص 249. و**مصابيح المغاني**، ص274 – ص279...

[4] - انظر:**مصابيح المغاني**، ص275. و**معاني الحروف**، ص95.

[5] -انظر: **مصابيح المغاني**، ص276.

[6] -انظر: **مصابيح المغاني**، ص 278. و**الجنى الدّاني**، ص247.

بدليل قوله تعالى:"**ولا تَنِيَا في ذكري**"(طه:42)، قال ابن هشام:"والظّاهر أنّ معنى "ونى عن ذكري": جاوزه ولم يدخل فيه، و"ونى فيه": دخل فيه وفَتَر"[1].

وقد يأتي بمعنى **الباء**؛ كقوله تعالى:"**وما ينطق عن الهوى**"**(النّجم:3)**؛ أي بالهوى[2]، قال ابن هشام:"والظّاهر أنّها على حقيقتها، وأنّ المعنى وما يصدُر قولُه عن هَوًى"[3]. وفي البحر المحيط قال أبو حيّان في تفسير الآية:"وما ينطق - أي الرّسول عليه الصّلاة والسّلام _عن الهوى؛ أي عن هوى نفسه ورأيه؛ إن هو إلّا وحي من عند الله يوحى إليه..."[4].

ويرى الباحث في المثالين السّابقين أن يكون حرف الجرّ **عن** على بابه؛ ليستقيم المعنى الّذي دلَّ عليه السّياق..

قالت العرب: **رميت عن القوس**؛ فحرف الجرّ هنا بمعنى الباء، في إفادة معنى الاستعانة؛ لأنّهم يقولون: رميت بالقوس. وحكى الفرّاء عن العرب: رميتُ عن القوس، وبالقوس، وعلى القوس[5].

والّذي يراه الباحث في المثال السّابق أنّ حرف الجرّ **عن** على أصله، والمعنى: أطلق السّهم عنها، والّذي دعاني إلى ذلك أنّ الفعل **رمى** يتعدّى بحروف جرّ مختلفة، وكلّ منها يعطي معنى آخر؛ فيتعدّى بـ **على**: رمى على الخمسين من عمره: زاد، وبـ في: رمى الله في يده - دعاء عليه، وباللّام :رمى الله له؛ أي نصره. وبالباء: رمى به؛ أي ألقاه وقذفه، وقد تكون الباء للاستعانة: رمى مستعينًا به...كما أنّه يأتي متعدّيًا بنفسه: رميته..رمى المال..[6].

[1] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص169. و**مصابيح المغاني**، ص278.

[2] - انظر: **دلالات الحروف**، ص 253.

[3] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص170.

[4] - انظر: **البحر المحيط**، الجزء الثّامن، ص157.

[5] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص246 – ص247. و**مصابيح المغاني**، ص278 – ص279. و**معاني الحروف**، ص 95.

[6] - انظر: **المعجم الوسيط**، الجزء الأوّل، مادّة (رمى)، ص374- ص375.

*** حرف الجرّ في**[1]**:**

تأتي **في** بمعنى **مع** نحو قوله تعالى:"**ادخلوا في أمم**"(الأعراف:38)، وقوله:"**فادخلي في عبادي**" (الفجر:29)، وقول النّابغة الجعديّ يصف فرسًا[2]:

ولَــوْحــا ذراعــيــن فــي بِــرْكَــةٍ إلــى جــؤجــؤ رَهِــلِ المَــنْــكِــبِ

وقول آخر[3]:

إذا أمُّ سِــــرْيــاحٍ غَــدَتْ في ظَـعـائِـنٍ جَوالسُ نَجْدا فـاضَــتِ العينُ تَدْمَعُ

وتأتي بمعنى **على**؛ كقوله تعالى:"**ولأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذوعِ النَّخْلِ**"**(طه:71)**، وكقول الشّاعر سويد بن أبي كاهل[4]:

هُمُ صَــلَبوا العَبْـدِيَّ في جِـذْعِ نَخْلَـةٍ فلا عَطَسَــتْ شَــيْبانُ إلا بِـأجْـدَعَـا

وكقول عنترة[5]:

بَـطَـلٍ كـأنَّ ثـيـابَـهُ في سَــــرْحَـةٍ يُحْـذى نِعَـالَ السِّــبْـتِ ليس بِتَوْأمِ

وتأتي بمعنى **الباء**؛ كقوله تعالى:"**يذرؤكم فيه**"(الشّورى:11)، وكقول الشّاعر زيد الخيل[6]:

ويــركــبُ يَــوْمَ الــرَّوْعِ مِــنَّــا فــوارسٌ بَصــيرونَ في طَعْنِ الأبَـاهِرِ والكُلى

وتأتي بمعنى **إلى**؛ كقوله تعالى:"**فَرَدُّوا أيْدِيَهم في أفواهِهِمْ**"(إبراهيم:9)؛ أي إلى أفواههم؛ بدليل قوله تعالى:"**إنّا رادّوه إليك**"(القصص:7).

---

[1] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص191-ص192. **والجنى الدّاني**، ص250-ص253. **ومعاني الحروف**، ص96. **ومصابيح المغاني**، ص314 – ص319. **وتناوب حروف الجرّ**، ص107 – ص111.

[2] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص315.

[3] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص315.

[4] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص316. **ومعاني الحروف**، ص96.

[5] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص317.

[6] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص317.

وتأتي بمعنى **عن**؛ كقوله تعالى:"**فهو في الآخرة أعمى**"(الإسراء:72)؛ أي عن الآخرة أعمى، وقد تكون في الآية على أصلها...

وتأتي بمعنى **من**؛ كقوله تعالى:"**ويوم نبعثُ في كُلِّ أمَّةٍ شهيدًا** "(النحل:89)، وكقول الشّاعر[1]:

وهل يَعِمَنْ مَنْ كانَ أحْدَثُ عَهْدِهِ ثلاثينَ شهرًا في ثلاثَةِ أحْوالِ

*** حرف الجرّ من[2]:**

يأتي للتّعليل بمعنى **اللّام**؛ كقوله تعالى:"**مِمَّا خطيئاتِهِم أُغْرِقوا فأُدْخِلُوا نارًا**"(نوح:25)، وقوله:"**يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصّواعق..**"(البقرة:19)، وقوله:"**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل**"(المائدة:32)، وكقول الفرزدق[3]:

يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ

أي من أجل مهابته. ويرى الباحث أنّ حرف الجرّ على أصله، ولا يشترط معنى التّعليل فيه...

ويأتي بمعنى **عن**؛ كقوله تعالى:"**فَوَيْلٌ للقاسيةِ قلوبُهُمْ من ذكر الله**"(الزّمر:22)، وقوله:"**قد كنَّا في غَفْلَةٍ من هذا**"(الأنبياء:97).

ويأتي بمعنى **الباء**؛ كقوله تعالى:"**ينظرون من طرفٍ خفيٍّ**"(الشّورى:45)، وقوله:"**يحفظونه من أمر اللهِ**"(الرّعد:11).

ويأتي مرادفًا **في**؛ كقوله تعالى:"**أروني ماذا خلقوا من الأرض**"(فاطر:40)، وقوله:"**إذا نودي للصّلاة من يومِ الجُمُعَةِ**"(الجمعة:9).

يرى الباحث أنّ حرف الجرّ في الآيتين على حقيقته....

ويأتي بمعنى **على**؛ كقوله تعالى:"**ونصرناهُ منَ القومِ الّذين كَذَّبوا بآياتنا**"(الأنبياء:77). وقيل على تضمين الفعل نصرناه؛ أي منعناه منهم بالنّصر[4].

---

[1] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الأوّل، ص192. و**معاني الحروف**، ص96. و**الجنى الدّاني**، ص252.

[2] - انظر: **معاني الحروف**، ص97. و**مصابيح المغاني**، ص456- ص463. و**الجنى الدّاني**، ص308- ص316.

[3] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص459.

[4] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص461.

*** حرف الجرّ إلى**[1]**:**

يأتي بمعنى **مع**؛ كقوله تعالى:"**ولا تأكلوا أموالَهُم إلى أموالِكم**"(النّساء:2)، وكقول العرب: **الذَّوْد إلى الذَّوْد إبل**[2].

ويأتي بمعنى **اللّام**؛ كقوله تعالى:"**والأمرُ إليْكِ فانظُري ماذا تأمرين**"(النّمل:33).

ويأتي بمعنى **في**؛ كقوله تعالى:"**لَيَجْمَعَنَّكُم إلى يوم القيامة**"(النّساء:87)، وكقول طرفة بن العبد[3]:

وإنْ يلتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقِني إلى ذِرْوَةِ البيتِ الكريمِ المُصَمَّدِ

وبمعنى **الباء**؛ كقول كُثَيِّر[4]:

ولقد لهوتُ إلى الكواعب كالدُّمى بِيضِ الوجوهِ حَديثُهُنَّ رخيمُ

*** حرف الجرّ على**[5]**:**

يأتي بمعنى **مع**؛ كقوله تعالى:"**وآتى المالَ على حُبِّهِ**"(البقرة:177)، وقوله:"**وإنَّ رَبَّكَ لذو مغفرةٍ للنّاس على ظُلْمِهِمْ**"(الرعد:6).

ويأتي بمعنى **عن**؛ كقول الشّاعر القحيف العقليّ[6]:

إذا رَضِيَتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعجبني رِضاها

وقيل إنّ الفعل رضي ضُمِّن معنى الفعل عطف[7].

ويأتي بمعنى **اللّام** للتّعليل؛ كقوله تعالى:"**وَلِتُكَبِّروا اللهَ على ما هداكم**"(البقرة:185)[8]، وكقول عمرو بن معد يكرب[9]:

---

[1] - انظر: **معاني الحروف**، ص115. و**مصابيح المغاني**، ص102 – ص108. و**تناوب حروف الجرّ**، ص85 – ص88....

[2] -انظر: **معاني الحروف**، ص115. و**مصابيح المغاني**، ص103.

[3] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص106.

[4] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص106.

[5] - انظر: **الجنى الدّاني**، ص476 – ص480. و**مصابيح المغاني**، ص280 – ص287.

[6] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص283.

[7] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص283. و**تناوب حروف الجرّ**، ص63.

[8] - انظر، كذلك، سورة الحج:آية 37.

[9] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص284.

عَلامَ تقول الرّمحُ يُثْقِلُ عاتقِي إذا أنا لم أطعن إذا الخيلُ كَرَّتِ

ويأتي بمعنى **في**؛ كقوله تعالى:"**ودخل المدينة على حين غفلة**"(القصص:15)، ومنه قولهم: **كان كذا على عهد كذا**؛ أي في عهده[1].

ويأتي بمعنى **مِن**؛ كقوله تعالى:"**إذا اكتالوا على النّاس يستوفون**"(المطفّفون:2).

ويأتي بمعنى **الباء**؛ كقوله تعالى:"**حَقِيقٌ عَلَى أنْ لا أقولَ**"(الأعراف:105)، وقالوا: **اركب على اسم الله**؛ أي باسم الله[2]، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة[3]:

فقالت على اسم الله أمركَ طاعة وإن كنتُ قد كلِّفتُ ما لم أعوّد

بعد أن عرض الباحث موضوع التّناوب في حروف الجرّ بشواهده المتنوّعة، رأى أن يتحدَّث عن التّضمين كوجهة رئيسيّة أخرى ترتبط بموضوع البحث...

التّضمين[4]:

التّضمين، كما هو ملاحظ في كثير من المعاجم اللّغوية: قديمها وحديثها[5]، يعني بصورة أو بأخرى إيداعَ شيءٍ شيئًا آخر حقيقةً أو مجازًا.

إنّ المعنى اللّغوي السّابق يُعَدُّ قاعدة ينطلق منها المعنى الاصطلاحيّ للتّضمين، وهو:"إشراب اللّفظ لمعنى لفظ آخر.."[6].

وقد عرّف ابن جني التّضمين في أثناء حديثه عن صور الحمل على المعنى؛ فقال:"..ومنه الحمل على المعنى باب من هذه اللّغة واسع لطيف طريف، وهو اتّصال الفعل بحرف ليس ممّا يتعدى به؛ لأنّه في معنى فعل يتعدّى به"[7].

---

[1] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص284.

[2] - انظر: **مصابيح المغاني**، ص285.

[3] - انظر: **معاني الحروف**، ص109.

[4] - التّضمين الّذي نحن بصدده هو التّضمين اللّغويّ، ويراد به التّوسع في استعمال لفظ توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له؛ إذ أنّ هناك أنواع أخرى من التّضمين، منها: أن يكون عيبًا من عيوب القافية، ومنها الاقتباس.

[5] - انظر، مثلاً، **معجم لسان العرب**، و**المعجم الوسيط**، مادة (ض. م. ن)..

[6] - انظر: حامد، أحمد، **التّضمين في العربيّة**، دار الشّروق، عَمّان، الطّبعة الأولى، 2001 م، ص41.

[7] - انظر: **الخصائص**، الجزء الثّاني، ص435.

وعرّفه ابن هشام؛ فقال:"قد يُشْرِبُون لفظًا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمّى ذلك تضمينًا، وفائدته: أن تؤدّي كلمة مؤدّى كلمتين"[1].

و علّق الزّعبلاويّ على قول ابن هشام؛ إذ رأى أنّ مؤدّاه ليس أن يجرّد الفعل الأوّل من معناه؛ ليكسب معنى جديدًا؛ بل أن يجمع الفعل بالتّضمين بين دلالتين: دلالته الأولى، ودلالة الفعل الّذي أشرب معناه..[2].

وذكر السّيوطي أنّ "العرب إذا ضمّنت شيئًا معنى شيء علّقت به ما يتعلّق بذلك الشّيء"[3].

أمّا ما يتعلّق بقياسيّة التّضمين؛ فقد أقرّها مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة، بشروط ثلاثة هي:

- تحقّق المناسبة بين الفعلين.
- وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللّبس.
- ملاءَمة التّضمين للذّوق العربيّ.

و قد أوصى المجمع ألّا يُلجأ إلى التّضمين إلا لغرض بلاغيّ[4].

ورأى إبراهيم السّامرائيّ أنّ الأخذ بقياسيّة التّضمين كان للحاجة إليه؛ فمتطلّبات العصر تستدعي أن تسعف العربيّة بمادّة ضخمة؛ لتساير الحياة الحاضرة ومتطلّباتها المعقّدة الكثيرة[5].

أمّا محمّد حسن عوّاد فقد تحدّث عن التّضمين، ووضع نصب عينيه إبطاله؛ فقال:"وممّا ذهبنا إليه في هذا البحث إبطال مسألة التّضمين خلافًا للبصريّين؛ فقد نظرتُ في المسألة فوجدت أدلّتها غير مستحكمة، ووجدتها مسألة معجميّة تندرج في بحث دلالات الألفاظ على وجه مباين للوجه أو الوجوه الّتي رسمها السّلف، ذلك أنّ لكلّ لفظ معنى واحدًا أو أكثر يؤدّيه من غير حاجة إلى تضمين"[6].

ولكي يحقق عوّاد هدفه، وجّه عنايته نحو الأساس الّذي بنى عليه القدماء فكرة التّضمين، وهو قضية الأصل والفرع، وهو أساس باطل من وجهة نظره، يقول:"إنّ الوهم الأساسيّ في المبحث كلّه هو الاعتقاد

---

[1] - انظر: **مغني اللّبيب**، الجزء الثّاني، ص791.

[2] - انظر: الزّعبلاويّ، صلاح الدّين، **مسالك القول في النّقد اللّغويّ**، الشّركة المتّحدة للنّشر، دمشق، الطّبعة الأولى، 1984 م، ص192.

[3] - انظر: **همع الهوامع**، الجزء الأوّل، ص237.

[4] - انظر: **النّحو الوافي**، الجزء الثّاني، ص463.

[5] - انظر: السّامرائيّ، إبراهيم، **النّحو العربيّ: نقد وبناء**، دار الصّادق، بيروت، 1968 م، ص170.

[6] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص6.

بالأصالة والفرعيّة في الألفاظ، ولكن ثبت بطلان هذا القول، ويُبنى على هذا البطلان أنّ مسألة التّضمين مسألة دلاليّة صرفة؛ أي هي مسألة لغويّة معجميّة؛ فلا يجوز أن نصف فعلًا بالتّعدّي إلّا إذا كان متعدّيًا في جميع أحواله في عصور الاحتجاج، وكذا الفعل اللّازم...."[1].

بعد أن عرض الباحث الآراء السّابقة، رأى أن يسوق طائفة من الشّواهد الّتي استدلّ بها المجوّزون على صحة التّضمين ثمّ يناقشها تبعًا للحاجة؛ لتتّضح المسألة جَلِيًّا...

شواهد التّضمين:

ورد التّضمين في كلام العرب نثرِه ونظمِه، كما جاء في القرآن الكريم، غير أنّ وروده في كلام العرب المنثور قليل جدًا؛ ممّا حدا بابن عصفور أن يعدّه من الضّرائر[2]، فممّا جاء من كلام العرب، وحمل على التّضمين، قول أبي بكر الصّديق لعمر بن الخطّاب، رضي الله عنهما:"**وما عسيتم أن يفعلوا بي**"، فقد قيل إنّ الفعل عسى قد ضُمِّن معنى **حسب**، وأجري مجراه[3]...

ومن **الشّواهد القرآنيّة**؛ قوله تعالى:

- **"ونَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الّذين كَذَّبُوا بآياتِنا إنَّهُمْ كانوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أجْمَعِينَ"** (الأنبياء:77).

ضُمِّن الفعل **نصرناه** معنى الفعل **منعناه**، أو **نجّيناه**[4].

يرى الباحث أنّ هذا التّضمين خدم المعنى الّذي أفاده السّياق؛ فالله عزّ وجل نجّى موسى، عليه السّلام، وقومه من فرعون وجنوده المغرَقِين، وهذا يُعَدُّ نصرًا...

- **"وقد أَحْسَنَ بي إذ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ"**(يوسف:100).

قيل إنّ الفعل **أحسن** ضُمّن معنى الفعل لطف[5].

---

[1] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص 71.

[2] - انظر: ابن عصفور، **ضرائر الشّعر**، تحقيق: إبراهيم محمّد، دار الأندلس، بيروت، 1980م، ص239.

[3] - انظر: البجّة؛ عبد الفتّاح، **ظاهرة قياس الحمل في اللّغة العربيّة بين علماء اللّغة القدامى والمحدثين**، دار الفكر، عَمّان، الطّبعة الأولى، 1998 م، ص261.

[4] - انظر: فلفل؛ محمّد عبدو، **التّضمين النّحوي والبلاغيّ** ، مجلّة جامعة البعث للعلوم الإنسانيّة، المجلّد الخامس والعشرون، العدد الحادي عشر، حمص، 2003م، ص20.

[5] - انظر: **التّضمين النّحويّ والبلاغيّ**، ص 18.

يرفض الباحث تضمين الفعل **أحسن** معنى الفعل **لطف**، ويذهب إلى إنابة حرف **الباء** عن الحرف **إلى**، أي أحسن إليّ، ويرى أنّ التّضمين في هذا المقام يبعد ذهن القارئ عن المعنى الصّحيح الّذي أفاده السّياق، إذ لا وجود لقرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللّبس.

- **"ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ"**(البقرة:235).

قيل إنّ الفعل **تعزموا** ضمّن معنى الفعل تنووا أو تباشروا[1].

يرى الباحث أنّ الفعل **تعزموا** جاء على أصله دون تضمين؛ إذ أتى في الآية الكريمة متعدّيًا. ومن ذلك قوله تعالى:"وإن عزموا الطّلاق"(البقرة:227)، وقول الأسود بن عمارة النّوفليّ:

وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل موعد قبل الفراق فيعلما

وقول ابن منظور في لسانه:"والعرب تقول عزمت الأمر، وعزمت عليه"[2].

- **"إنّ الأبرارَ يشربون من كأس كان مِزاجُهَا كافُورًا[5] عَيْنًا يَشْرَبُ بها عِبادُ الله يُفَجِّرونَها تَفْجِيرًا[6]"** (الإنسان:6-5).

ضمّن الفعل **يشرب** معنى الفعل **يروى**[3]، وقد علّل محمّد حسن عوّاد ذلك؛ فقال:"إنّما عمدوا إلى هذا فرارًا من وقوع الباء موقع مِن، والحقّ أنّ الباء غير واقعة موقع مِن..."[4].

أمّا الباحث فيرى أنّ الباء واقعة موقع **مِن**، وهذا أفضل من تضمين الفعل **يشرب** معنى الفعل **يروى**.

أمّا **الشّواهد الشّعرية**؛ فمنها:

- قول أبي ذؤيب الهذليّ:

شربنَ بماءَ البحرَ ثمَّ ترفَّعت مَتى لجج خضر لهن نئيج

قيل إن الفعل **شربن** ضُمّن معنى الفعل **روين**[5].

---

[1] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص 55.

[2] - انظر: **معجم لسان العرب**، مادّة (ع. ز. م).

[3] - انظر: **التّضمين النّحويّ والبلاغيّ**، ص17.

[4] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص60.

[5] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص57.

يرى الباحث أنّ الباء واقعة موقع **من**، ولا تضمين في الشّاهد.

- قول الرّاعي النّميري:

إذا ما الغانيات برزنَ يومًا وزجّجنَ الحواجبَ والعيونا

قيل إنّ الفعل **زجّج** تضمّن معنى **حسّنَ** أو **زيَّنَ**[1].

و قد عُمد إلى التّضمين لامتناع عطف المفرد على المفرد، ويرى الباحث، كما يرى كثير من النّحاة، أنّ التّقدير: وكحّلن العيون، والفعل المحذوف معطوف على زجّجن، أمّا الزجج بمعناه فمرتبط بالحواجب لا العيون[2]..

- قول القحيف العقليّ:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

ضمّن الفعل **رضيتْ** معنى الفعل **عطفتْ**[3].

يرفض الباحث تضمين الفعل السّابق لعدم تكافؤ المعنى، فلا يوجد مناسبة بين الفعل **رضيتْ** والفعل **عطفتْ**؛ إضافة إلى عدم وجود قرينة تدلّ على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللّبس إذا ما ضُمّن الفعل **رضيتْ**.

لذلك فأنّ إنابة حرف الجرّ **على** هو الخيار الصّحيح للوصول إلى المعنى الّذي دلّ عليه السّياق..

يرى الباحث، كما يرى آخرون[4]، أنّ الدّاعي إلى استخدام التّناوب في حروف الجرّ، واللّجوء إلى التّضمين يمكن أن يكون بسبب أنّ بعض الحروف في بعض التّراكيب لا تلائم الفعل الّذي تقع في سياقه، ولا ينسجم الحرف مع ظاهر الفعل ودلالته، وتصبح الدّلالة المباشرة للفعل غير متفرّدة أو غير متعيّنة، إمّا لأنّ هذا الفعل قد استعمل معه حرف جرّ، وهو أصلاً لا يحتاج إلى حرف جرّ، كما في

[1] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص59.

[2] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص60.

[3] - انظر: **تناوب حروف الجرّ**، ص63.

[4] - انظر، مثلاً: عمّار؛ محمود، **الأخطاء الشّائعة في استعمالات حروف الجرّ**، عالم الكتب، الرّياض، الطّبعة الأولى، 1998 م، ص29 – ص30.

قوله تعالى:"فليحذر الّذين يخالفون عن أمره"(النّور:63)؛ فالفعل يخالف يتعدّى بنفسه؛ فتقول: يخالفون أمره، ولكنّنا نجده في الآية متعدّيًا بحرف الجرّ **عن**.

أو جُرّد من حرف الجرّ، وهو أصلاً مما يحتاج إلى حرف الجرّ، كما في قوله تعالى:"وما يفعلوا من خير فلن يكفروه"(آل عمران:115)؛ فالأصل في الفعل **كفر** أن يتعدّى بالباء كقوله تعالى:"إنّهم كفروا بالله ورسوله"(التّوبة:84).

أو عُدّي بحرف جرّ بعد استكمال معمولاته، كما في قوله تعالى:"ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"(النّساء:2)؛ فالفعل **أكل** يتعدّى إلى مفعول واحد وقد استوفاه، ولكنّه عدّي بعد استيفاء معموله بـ**إلى** على غير ما جرى عليه استعمال هذا الفعل...

أو عدّي بغير الحرف الّذي يتعدّى به، ممّا يوقع اختلافًا أو لبسًا بين معنى الفعل ومعنى حرف الجرّ إذا ما أخذ الكلام بالمدلول المباشر لهما، ومن ذلك قوله تعالى:"ولا تعد عيناك عنهم"(الكهف:28)؛ فالفعل **عدا** يتعدّى بـ**على**؛ كالفعل **اعتدى** الّذي يتعدّى بـ**على** أيضًا، قال تعالى:"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"(البقرة:194)..

الخلاصة:

تحدّث الباحث في بحثه عن التّناوب في حروف الجرّ من جهة، والتّضمين اللّغويّ من جهة أخرى، وخلص إلى نقاط بارزة؛ أهمّها:

- إمكانيّة أن يؤدّي الحرف عدّة معان مختلفة، فحرف الباء، مثلاً، جاء بمعنى **عن**، قال تعالى:"**نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم"(سورة التّحريم:8)**. وجاء بمعنى **في**، قال تعالى:"**وبالأسحار هم يستغفرون"(الذاريات:18)**. وبمعنى **مِن**، قال أبو ذؤيب الهذليّ:

شَــرِبْنَ بمـاءِ البحـرِ ثُـمَ تَـرَفَّـعَـتْ مـتى لُـجَـجٍ خُضْــرٍ لَـهُـنَّ نَـئـيـجُ

إلى غير ذلك من المعاني المختلفة للباء والمعاني المتعدّدة للحروف الأخرى...

- اشتراك عدد من الحروف في تأدية معنى واحد.
- إمكانية إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطائه حكمه؛ كالفعل "نصرناه" في قوله تعالى:"**ونَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الّذين كَذَّبُوا بآياتِنا إنَّهُمْ كانوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أجْمَعِينَ"(الأنبياء:77)**.

حيث ضُمِّن الفعل نصرناه معنى الفعل منعناه أو نجّيناه...

- الدّاعي إلى استخدام التّناوب في حروف الجرّ، واللّجوء إلى التّضمين يمكن أن يكون بسبب أنّ بعض الحروف في بعض التّراكيب لا تلائم الفعل الّذي تقع في سياقه، ولا ينسجم الحرف مع ظاهر الفعل ودلالته، وذلك لأنّ:
  - **هذا الفعل قد استعمل معه حرف جرّ، وهو أصلاً لا يحتاج إلى حرف جرّ.**
  - **أو جُرّد من حرف الجرّ، وهو أصلاً ممّا يحتاج إلى حرف الجرّ.**
  - **أو عدّي بغير الحرف الّذي يتعدّى به.**
  - **أو عُدّي بحرف جرّ بعد استكمال معمولاته.**

وقد وقف الباحث موقفًا وسطًا بين المؤيّدين لوجود كلّ من تناوب حروف الجرّ والتّضمين، والرّافضين لهما، ورأى أنّهما ظاهرتان موجودتان في اللّغة العربيّة، لكنّه خلص إلى أن استخدامهما يكون في موضع دون موضع على حسب الأحوال الدّاعية إليهما، والمسوّغة لهما، فأمّا في كلّ موضع وعلى كلّ حال فلا...

المراجع

الكتب:

الأندلسيّ، أبو حيّان (محمّد بن يوسف). **البحر المحيط**. ط.2. بيروت: دار الفكر، 1978.

الأنصاريّ، ابن هشام (جمال الدّين عبد الله بن يوسف).

- **أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك**. شرح وتعليق: إميل بديع يعقوب. ط.1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1997.
- **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصريّة، 2005.

ابن جني، عثمان. **الخصائص**. تحقيق: محمّد علي النّجّار. القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1952.

ابن عصفور. **ضرائر الشّعر**. تحقيق: إبراهيم محمّد. بيروت: دار الأندلس، 1980.

ابن عقيل، عبد الله. **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**. تعليق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد. ط.2. القاهرة: دار الطّلائع، د.ت.

ابن قتيبة، عبد الله. **تأويل مشكل القرآن**. شرح وتعليق: السّيّد أحمد صقر. ط.2. د.م: دار التّراث، 1973.

ابن منظور، جمال الدّين. **معجم لسان العرب**. تحقيق: عامر أحمد. ط.1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2003.

البجّة، عبد الفتّاح. **ظاهرة قياس الحمل في اللّغة العربيّة بين علماء اللّغة القدامى والمحدثين**. ط.1. عمّان: دار الفكر، 1998.

حامد، أحمد. **التّضمين في العربيّة**. ط.1. عَمّان: دار الشّروق، 2001.

حسن، عبّاس. **النّحو الوافي**. ط.2. القاهرة: دار المعارف، 1963.

الرُّماني، علي بن عيسى. **معاني الحروف**. تحقيق: عبد الفتّاح إسماعيل. القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.

الزّعبلاويّ، صلاح الدّين. **مسالك القول في النّقد اللّغويّ**. ط.1. دمشق: الشّركة المتّحدة للنّشر، 1984.

السّامرائيّ، إبراهيم. **النّحو العربيّ: نقد وبناء**. بيروت: دار الصّادق، 1968.

السّيوطيّ، جلال الدّين. **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

عمّار، محمود. **الأخطاء الشّائعة في استعمالات حروف الجرّ**. ط.1. الرّياض عالم الكتب، 1998.

عوّاد، محمّد حسن. **تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن**. ط.1. عمّان: دار الفرقان، 1982.

فاضل، محمّد نديم. **التّضمين النّحويّ في القرآن الكريم**. المدينة المنوّرة: مكتبة دار الزّمان، د.ت.

المراديّ، الحسن بن قاسم. **الجنى الدّاني في حروف المعاني**. تحقيق: فخر الدّين قباوة. وزميله. ط.1. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1992.

مصطفى، إبراهيم. وآخرون. **المعجم الوسيط**. ط.2. استانبول- تركيا: المكتبة الإسلاميّة، د.ت.

الموزعيّ، محمّد بن علي. **مصابيح المغاني في حروف المعاني**. تحقيق: عائض بن نافع العمريّ. ط.1. د.م: دار المنار، 1993.

الأبحاث المنشورة:

الشّاويش، غالب محمّد. "الدّلالة البلاغيّة لحروف الجرّ والعطف في نماذج من الحديث النّبويّ الشّريف." **مؤتة للبحوث والدّراسات**. مج.14. ع.2. مؤتة-الأردن، 1999.

فلفل، محمّد عبدو. "التّضمين النّحويّ والبلاغيّ: دراسة نظريّة تطبيقيّة." **مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانيّة**. مج.25. ع.11. حمص، 2003م.

القضاة، سلمان:

- "أقسام الكلمة عند نحاة العربيّة وفي التّراث الإنسانيّ." **حوليّات الجامعة للبحوث الإنسانيّة والعلميّة** (جامعة وهران). ع. 2. وهران-الجزائر، 1995.
- "الجملة في تصوّر غير النّحويّين." **مؤتة للبحوث والدّراسات**. جامعة مؤتة. مج.12. ع.1. مؤتة – الأردن. 1997م.
- "قراءة لغويّة فقهيّة في آية الوضوء (الآية السّادسة من سورة المائدة)". **مجلّة المنارة**. جامعة آل البيت. مج.2. ع.1. المفرق-الأردن، 1997.

يوسف، مجدي إبراهيم. "دلالات الحروف عند الزّجاجيّ: دراسة في ضوء الشّواهد القرآنيّة في كتاب "حروف المعاني"". **مجلة علوم اللّغة**. دار غريب. القاهرة. 2001.